مجلة الرائد

العدد : ٢٢٥ الموافق في ذو القعدة ١٤٢١ هجري ٢ / ٢٠٠١ ميلادي

عنوان المقال : الحكام .. نقيض أساسي أم فرعي ؟	بقلم :د. صلاح الدين بن ابراهيم

حضرت قبل عقد من الزمان مؤتمراً دعت إليه مؤسسة إسلامية في بلد عربي ، وجاء رأس الدولة فألقى كلمة الافتتاح وتعرض فيها لتيار الصحوة الإسلامية ، وركّز على " التطرف " و " العنف " و " الإرهاب " زاعماً أن هذه المعاني تهيمن على مشاعر وأفكار الحركات الإسلامية التي انغمست في العمل السياسي ، وذهب إلى حد القول بأن هناك مجموعات اختارت العمل المسلح في مواجهة أنظمة الحكم العربية ، وهذا الاختيار أوقعها في أحضان " المخابرات الأمريكية " التي وفرت لتلك المجموعات ما تحتاج إليه من وثائق وأموال وسلاح ، بشكل غير مباشر ، وأحياناً بصورة مباشرة فاضحة .

وناشد الجماعات الإسلامية أن تعيد النظر في قراءة الواقع على أساس من التفريق الواضح بين " النقيض الأساسي " و " النقيض الفرعي " مدَّعياً أن النقيض الأساسي في هذه المرحلة التاريخية يتمثل في " **أمريكا وإسرائيل** " فقط ، وأن الخلاف مع أنظمة الحكم يندرج تحت عنوان النقيض الفرعي ، وأن الحكمة تقضي بأن توجه الحركات الإسلامية جهودها لمقاومة الهيمنة الأمريكية والاستعمار الاستيطاني المتمثل في " إسرائيل " وأطماعها . وادعى بأن الحركات الإسلامية قد تخلت عن مواجهة الأعداء الحقيقيين وانشغلت بالخلافات الثانوية ، وهذا أدى إلى ضعف الأنظمة وإلى ضعف الحركات الإسلامية ، وفتح أبواب التدخل والاستغلال الخارجي .

وبعد أن فرغ « الزعيم » من خطابه الذي استغرق قرابة (٩٠) دقيقة نهض وغادر قاعة المؤتمر ، ولم يفسح مجال لاستفسار أو تصويب أو اعتراض على قضايا كثيرة أثارها رئيس الدولة في كلامه !! . والغريب أن خطابه اعتبر ورقة عمل المؤتمر الذي لم يكن له جدول أعمال !! .

وبعد انتهاء المؤتمر قُدِّر لي أن ألتقي بالحاكم العربي ، وسمحت طبيعة اللقاء بأن أتحدث بالمعاني الآتية :

● لقد كنتم محقين حين تحدثتم في المؤتمر عن وجوب " المراجعة " لما اختارته الحركة الإسلامية من أهداف ووسائل .. فتيار التجديد الإسلامي المعاصر جهد بشري ، وقد يعتريه ضعف في فهم جوانب من الواقع المراد تغييره نحو الأفضل ، وربما وقع أسير اجتهاد ممن سلف ، أو من المعاصرين ، وربما لم يلحظ هذا التيار المتغيرات .. إلخ . فالمراجعة واجب شرعي وتدخل في معنى " التوبة " .

● ولكن توصيف الواقع قد يكون محل خلاف .. فإذا نظرنا إلى واقع الأنظمة العربية من الدائرة العالمية ، والإقليمية ، والمحلية ، فإننا نرى هذه الأنظمة :

١- تمارس **محلياً** قمع شعوبها ، والذي ينتج عنه منع الشعوب من المشاركة في بناء الحاضر وصياغة المستقبل .. وصار حال الناس في بلاد العرب كما قال الشاعر :

من شاء منكم أن يعيش اليوم وهو مكرَّمُ
فلْيُمس لا سمعٌ ولا بصرٌ لديه ولا فمُ
لا يستحق كرامةً إلا الأصمُ الأبكمُ

ويدخل في الممنوعات « التفكير في صور عملية تقاوم مخططات استغلال وتركيع الأمة » .

والدليل على ذلك الأنظمة المحيطة بفلسطين ، ففيهم من وقَّع على " الاستسلام " ومنهم من يلهث وراءه .. وإن رفع شعار الصمود والتصدي !! ، وليس الأنظمة الأخرى أفضل حالاً !! .

٢- وتعمل **إقليمياً** على ترسيخ التجزئة المفروضة على أمتنا ، ولا تتأخر عن ضخ أسباب الصراع والحرب وتشكيل المحاور المتناقضة بين الأقطار العربية .. ونتج عن هذا كله أن عاد " الاستعمار المباشر " إلى مياهنا وسمائنا وأجزاء عزيزة من بلادنا .. تحت شعار « القوات الصديقة » !! .

٣- أما **عالمياً** فلا يخفى - حتى على بسطاء الناس - أن التبعية لأمريكا وأعوانها هي السمة الغالبة على الحكام العرب .. ولهذه التبعية نتائج تدميرية مذهلة على كل صعيد !! .

فهل واقع الأنظمة العربية يدل على أنها نقيض فرعي ؟ أم أنها جزء أصيل من النقيض الأساسي ؟!! .

قال الحاكم العربي : أنا معك في أن حال الأنظمة العربية يشل طاقات الأمة ، ويطعن المناعة والمقاومة والحرية في مقاتلها .. ولكن ما العمل ؟ هل نحمل السلاح في مواجهتها فنزيد الطين بلة ؟ !! .

قلت : أنا معك في أن الحل ليس في حمل السلاح ، وإنما في الدعوة إلى توفير الأجواء السليمة لنمو أجيال حرة كريمة .. قادرة على فهم واقع الأمة محلياً وإقليمياً وعالمياً .. لا لتستسلم بل لتقاوم أسباب التخلف والهوان . ولتخرج بالأمة من حالة الغثائية التي سمحت لقوى الاستغلال العالمية في أن تتداعى إلى قصعة الأمة من كل أفق !! .

ولا شك في أن الأنظمة العربية لن تلجأ إلى تحرير الشعوب بإرادتها .. وأخشى ما أخشاه أن ينتهي

القمع والاستبداد إلى انفراط عقد الأمة .. فتدخل في فتنة قاصمة تأتي على بقايا المقاومة في أمتنا .

⊙ ⊙ ⊙

لقد ذكرتني انتفاضة الأقصى المبارك بهذه القصة التي مضى عليها قرابة عشرة أعوام فهل تغيرت الأنظمة العربية ؟ أم أنها ما زالت ممعنة في سياسة القمع الداخلي ، والاستسلام للعدو المغير الناهب لأرضنا ، والتبعية للطاغوت الأمريكي ؟! على الرغم من جميع شعارات الشجب والاعتراض والمخالفة !! .

لقد كشفت انتفاضة الأقصى - ويا للأسف - عن عجز النظام العربي عن التوصل إلى صيغة تعاون تدفع العدو الصهيوني وأمريكا إلى إعادة النظر في المواقف المذلة للإنسان العربي والحكام العرب .. حتى في حدود شرعيتهم الدولية الجائرة ، وبدلاً من دعم انتفاضة الأحرار لجأت الأنظمة العربية إلى تكبيل شعوبها ومنعها حتى من التظاهر تأييداً لإخوانهم في الخندق الأول فلسطين !! وهذا كله سيترك آثاراً سلبية ، وسيولد رؤى ومواقف قد يعبر عنها الجيل الناشيء في هذه المرحلة بما لا يتوقعه الحكام ولا أعداء الأمة .

إن أمتنا تزداد وعياً ومعرفة يوماً بعد يوم ..

ولئن استطاع الحكام إخضاع أجيال فلن يدوم لهم السلطان ، وسيأتي جيل تكون على يديه تجسيد الحرية التي بدأت في قلوب رجال ونساء أجيال القهر على المستوى المحلي والعالمي .

ولنا درس بليغ في انتفاضة الأقصى .. فعلى الرغم من محاولات التطويع والتركيع والتطبيع .. فإن حقائق مأساة فلسطين ما تزال طرية ندية في قلوب المسلمين ..

ونأمل أن يدرك الحكام هذه الحقائق ، وأن ينحازوا إلى تحرير الأمة والسير معها وبها إلى ساحات التقدم والقوة والحرية .. قبل فوات الأوان .

ونناشد التيار الإسلامي والقوى الحرة الفاعلة في أمتنا .. أن يصبروا ويصابروا ويرابطوا في خندق المقاومة .. وأن يستمروا في توليد أشكال التمرد البصير في قيود استبداد الفراعنة المحليين والفراعنة والقوارين العالميين .. إلى أن يتحقق تجديد وتنمية معاني الخير في أمتنا .. لتقوم بدورها العتيد الذي لخصه ربعي بن عامر بقوله :

« إن الله ابتعثنا لنخرج العباد من عبادة الأصنام إلى عبادة الله وحده ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة » .